الباب الثاني

(في الدراسة)
بعض القضايا المتعلقة بالمخطوطة

الفصل الأول

شرح الخيالي على القصيدة النونية للمولى خضر بيك

المبحث الأول

نسبته إليه

وقد نسبه إليه كل من طاش كبرى زاده وحاجي خليفة وابن العماد الحنبلي وأبـو الحسنات اللكنوي وبروكلمان [1] من رجال التراجم . وهناك أيضا بعض شروح على هذه القصيدة النونية فيها إشارات إلى شرح الخيالي هذا وإحالات عليه مرات كثيرة موافِقةً لآراء الخيالي أو مخالِفةً لها . هذا وإن من هذه الشروح ما قد ألف من أجل الرد على شرح الخيالي بصفة عامة ، وهو شرح الشيخ المعروف بـ«الحافظ الكبير»[2] . كما أن هناك ما قد ألف للدفاع عن الخيالي ضد الهجمات التي شنها الحافظ الكبير المذكور ، وهو شرح الشيخ عثمان الكليسي المعروف بالعرياني

---

١١) الشقائق النعمانية : ٨٧ ، كشـف الظنـون : ١٣٤٨ ، شـذرات الذهب : ٣٤٤/٧ ، الفوائد البـهية : ٤٣ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٣٦٨/٧ .

(٢) هو محمد بن الحاج حسن الحنفي المعروف بالحافظ الكبير الرومي المتوفى عام ١١٥٤هـ/١٧٤١ م ، ألفه في آخر عمره حتى إذا قرب من إتمامه وبقي منه مقدار خمسة عشر بيتا فاجأته المنية. انظر كشف الظنون لحاجي خليفة : ١٣٤٨ ، هدية العارفين للبغدادي : ٣٢٥/٢ ، ٣٢٦ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٢١٧/٣ . وتوجد من شرحه نسخة مخطوطة في مكتبة الأزهـر الشـريف تحت رقم «مجاميع ٩٦٧» . انظر من هذا الشرح مثلا ورقة : ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ٣١ وغيرها لترى موقفه من المولى الخيالي .

المتوفى بالمدينة المنورة عام ١١٦٨ هـ[١] . ويتضح هذا الأمر بالرجوع إلى هذه الشروح المذكورة وغيرها مثل شرح الشيخ داود بن محمد القرصي ـ أو الفارضي ـ[٢] الذي كثيرا ما يعترض على الخيالى خاصة فيما يتعلق بالتصوف والصوفية اعتراضات أراها واهية . ومن هنا فإن نسبة هذا الكتاب إلى المولى الخيالي نسبة لايمكن التردد فيها .

وكذلك وجدت العلامة البياضي من علماء القرن الحادي عشر الهجري ـ هو من هو في العلم والتحقيق[٣] ـ ينقل في كتابه « إشارات المرام من عبارات الإمام» بعض النصوص الموجودة في شرح الخيالي ، ناسبا إياها إلى ذلك الشرح ، ومعتضدا برأيه[٤] . ووجدت الشيخ عبد الرحيم بن على الشهير بشيخ زاده أيضا ينقل في كتابه (نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية : ٢٢١) بعض ما في شرح الخيالي هذا ، الأمر الذي يدل على أن شرح الخيالي هذا كان معروفا لدى العلماء وكان له وزنه عندهم . ولعل هناك من المتأخرين من يعتمد على شرحه غير البياضي وشيخ زاده ـ وإن لم أطلع عليه ـ أو ينقل منه ، الأمر الذي يثبت أيضا صحة نسبته إليه .

---

(١) هو عثمان بن عبد الله الكليسي الأصل ، الحلبي المولد ، الحنفي ، نزيل القسطنطينية ، الشهير بالعرياني ، توفى بالمدينة المنورة عام ١١٦٨ هـ/١٧٥٥ م . انظر ترجمته في كشف الظنون لحاجي خليفة : ٦٦١ ، ١٣٤٩ ، إيضاح المكنون للبغدادي : ١٦٥/١ ، ٥٨٣ ، هدية العارفين للبغدادي : ٦٥٨/١، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٣٦٣/٢ . هذا الشرح المسمى بـ«خير القلائد شرح جواهر العقائد» قد طبع في تركيا عام ١٢٩٨ هـ . انظر من هذا الشرح : ٣ ، ٤ ، ١٩ — ٢١ وغيرها .

(٢) هو داود بن محمد القرصي الرومي الحنفي نزيل مصر المتوفى بعد عام ١١٦٩ هـ/١٧٥٦ م . انظر ترجمته في هدية العارفين للبغدادي : ٣٦٣/١ ، إيضاح المكنون للبغدادي : ٣/١ ، ٢٣٣/٢ ، معجم المطبوعات لسركيس : ١٥٠٣ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٧٠٢/١ . وقد طبع هذا الشرح ١٢٩٧ هـ . انظر منه مثلا : ١٣ ، ١٩ ، ٣١ وغيرها .

(٣) انظر ما كتبه عنه العلامة الكوثري في تقديمه لـ« إشارات المرام» ٣ — ٩ .

(٤) انظر إشارات المرام من عبارات الإمام في مبحث التحسين والتقبيح:٨٢، وفي مبحث الإرادة:١٥٣.

ومما يدل ـ كذلك ـ على صحة نسبة أي كتاب إلى مؤلفه وجود حاشية أو عدة حواش عليه قد كتبها من جاء بعده من العلماء . فهنا قد وجدنا بالتتبع والبحث في كتب التراجم والفهارس بعض الحواشي على شرح الخيالي على القصيدة النونية ، إلا أني لم أتمكن من العثور على نسخة منها . فلعل الأيام تأتينا بها فيما تأتي به من مكنون المكتبات ونفائس الكتب . وسوف نعرض لها حين نتحدث عن الحواشي التي كتبت على شرح الخيالي على النونية إن شاء الله .

كما أن جميع نسخه الخطية التي تيسر لي الاطلاع عليها تحمل عنوانا يدل على نسبة هذا الشرح إلى الخيالي ، فيوجد على بعضها ـ مكتوبا في الورقة الأولى ـ مثلا «شرح الخيالي على القصيدة النونية» كما يوجد على البعض الآخر «خيالي جلبي على القصيدة النونية» .

* * *

المبحث الثاني

موضوع المخطوطة ومنهج الخيالي فيه

هذا الشرح الذي ألفه الخيالي هو كتاب فى علم أصول الدين أو علم الكلام كما اشتهر بين العلماء وقد أشار الشارح إلى ذلك فى خطبة الكتاب بقوله «علم به إثبات الصانع وتوحيده وتقديسه عن النقائص وتمجيده . . . . وقد صنف فيه المولى الهمام ـ يعنى خضر بيك ـ كتابا منظما بنفائس الفرائد موشحا بجواهر العقائد . . . ثم إنه يحتاج إلى شرح . . . وشرحته شرحا يبسط عن مطويات عباراته إيجازها ..». فموضوع هذا الكتاب هو ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وأفعاله وما يتعلق بذلك .

وهو كعادة المؤلفين يرغب القارئ في قراءة كتابه ، ويذكر مزاياه ويصفه بالحسن والجودة ، ولا غضاضة في ذلك كله ، إذ هو من باب الإرشاد والنصيحة

المطلوبة من أئمة الدين لعامة الأمة . ونراه يتحدث عن شرحه : « . . .شيدت فيه قواعد أصول الدين للمتكلمين ، بدلائل خلا عنها زبر الأولين والآخرين ، في زواهر عبارات يحيى لو سمعها الأموات في القبور ، ويتهلل بها وجوه الأوراق وخلال السطور» .

وأما عن منهجه في تأليف هذا الشرح فيتضح من نواح مختلفة حين نتتبع هذا الكتاب . فهو يذكر بيتا للمصنف بكلمة «قال» ثم يشرع في شرح ما تضمنه هذا البيت ويبدأ شرحه بكلمة «أقول» . وهذه طريقة معروفة من طرق شرح المتون تعرف بطريقة «قال أقول»[1] .

وهو يركز في شرحه على توضيح العقائد الصحيحة بإيراد الحجج والبراهين عليها . وقد لايقتصر على أدلة الناظم ، بل يضيف إليها ما يشاء . ومعلوم أن القصيدة النونية نسجت على منوال عقيدة أهل السنة والجماعة وهذا ما أشار إليه الشارح في شرح قول الناظم «هذي عقائد عبد مذنب جان ــ يوصي بها كل موصوف بإيمان» بقوله « إنها عقائد أهل السنة وجماعة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين . وعليها اعتقاد المولى المحقق واعتماده وبها وصيته واعتضاده» . هذا ويجد المتتبع لهذه القصيدة أنها تختار جناح الماتريدية من جناحي أهل السنة والجماعة . ولكن الشارح قد لا يسير مع منهج الماتريدية في بعض آراءه ، وهذا ما عوتب الخيالي بسببه من قبل بعض شراح هذه القصيدة[2] .

وهو يذكر إلى جانب هذا آراء المخالفين ــ مسلمين أو غيرهم ــ ويورد أدلتهم بدقة وأمانة ، ثم يرد عليها ويفندها إجمالا أو تفصيلا حسبما يقتضيه المقام . وقد يشير أحيانا إلى المراجع الأخرى خاصة المطولات لمن أراد المزيد من التفصيل وينقل عن السابقين من علماء الأصول في أحيان كثيرة مشيرا إلى كتبهم التي نقل منها في أغلب الأحيان . وتأثره بهذه الكتب أيضا واضح ، في صياغاتها وأسلوبها ،

---

(١) انظر للتعرف على مختلف طرق الشرح كشف الظنون لحاجي خليفة : ٣٧ .

(٢) انظر شرح الحافظ الكبير على القصيدة النونية (مخطوطة الأزهر) ورقة : ٢ .

وبخاصة المواقف للإيجي وشرحه للشريف الجرجاني والأربعين في أصول الدين للرازي وشرح المقاصد للتفتازاني . ولايعني هذا أنه متابع لهم في كل ما قالوه أو مقلد لهم في جميع آرائهم بل على العكس من ذلك كان له فهمه الخاص به وكانت له شخصيته المستقلة .

ثم إنه قد أبدى رأيه الخاص في كثير من المواضع مخالفا به لبعض من سبقه أو معترضا عليهم . وهكذا نجده ـ مثلا ـ يقول : « . . . فاندفع ما توهمه شارح المقاصد . . .» و «. . . وأنا أقول لم لايجوز . . .» و «. . . والعجب ممن تقدمنا من الفحول . . .» و «. . . وأجيب عن ذلك في شرح المقاصد . . . وليس بشيء . . .» و «. . . وبهذا التحرير ظهر بطلان ما قاله صاحب المواقف . . .» و «. . . والصواب عندي أن مذهبه . . .» و « . . . وقال شارح المقاصد . . ولا يـذهب عليك . . .» و « . . . فالأولى عندي . . .» و « . . . ثم إن المولى المؤلف لقد أصاب . . . لكنه أخطأ . . .» و « . . . وأنت خبير بأن ما ذكروه . . .» وما إلى ذلك من أمور مشابهة لهذا . ويتضح هذا كله بالرجوع إلى شرحه هذا وليس من اللازم أن نطوِّلَ بسرد ذلك فى هذه الدراسة .

ومما يذكر عن منهج الخيالي أيضا أنه لايهتم بمفردات ما في الأبيات وتراكيبها إلا إذا دعته إليه الضرورة ، وقد عابه بعض شراح القصيدة لهـذا السبب[1] . ولكنـي لا أرى هذا منه عيبا حيث إن مثل الخيالي لايستقبح منه عدم الالتفات إلى الجزئيات التي ليس لها مساس بالمطلوب والجوهر ، وهو ممن قد تجاوز القنطرة كما يقولون ، وأنى له أن يشتغل بقواعد الصرف والنحو في كتاب يتناول أم العلوم . وإن كان هذا عيبا فليكن كما قيل :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

وأما بالنسبة إلى تقسيم الكتاب وتبويبه فإن الخيالي لم يقسمه إلى الأبواب والفصول ، فتابع في ذلك صاحب القصيدة . وتقسيم الكتاب وترتيبه ووضع العناوين لكل مبحث يعتبر من أهم ما يتميز به شكل التأليف الجاد .

---

(١) انظر شرح الحافظ الكبير للقصيدة النونية مخطوطة الأزهر ورقة : ٢ .

والملاحظة التالية التي تذكر عن أسلوب الخيالي هي الدقة المتناهية في تحديد المعاني والألفاظ جميعا ، ثم الإيجاز الذي يضع القارئ أمام المشكلات مباشرة ـ وهذه الخاصية بارزة في حاشيته على شرح العقائد النسفية بصورة أوضح . وفيما أعتقد فإن الخيالي يعد من الشخصيات النادرة التي تبرز فيهم هذه المهارة المتميزة ؛ الدقة مع الإيجاز . ومؤلفاته بهذه الخصيصة قد تبدو ذات أسلوب جاف عال يصعب مناله أو هكذا يسود هـذا الانطباع في نفوس الباحثين في بادئ النظر . أما حين تتكشف لهم الميادين العقلية الكلامية المترامية الأطراف من وراء هذا الأسلوب الدقيق البليغ في آن واحد فإنه يكون أمام عبقرية فذة تفرض نفسها فرضا في هذا المجال العلمي الدقيق .

* * *

المبحث الثالث

حواشي شرح الخيالي

أشرنا فيما سبق إلى وجود حواش كتبت على شرح الخيالي على القصيدة النونية، الأمر الذي يدل على صحة نسبة هذا الشرح إلى الخيالي وأهميته لدى العلماء. وهنا أتعرض لتلك الحواشي ؛ وهي خمس حواش حسبما أفادتني المراجع والمصادر .

١- حاشية آيينة زاده المتوفى عام ١١٠٠ هـ/١٦٨٨ م على شرح الخيالي على القصيدة النونية . توجد منها نسخة في مكتبة الغازي خسرو بيك في سرايفو[١] .

٢- حاشية إلياس بن إبراهيم بن داود بن خضر الكردي الشافعي المتوفى بدمشق عام ١١٣٨ هـ/١٧٢٦ م . ورد في ترجمته في معجم المؤلفين حينما ذكر

---

(١) انظر فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية والبوسنوية في مكتبة الغازي خسرو بيك في سرايفو : ١/٤٥٠ ، ٤٥١ .

مؤلفاته : « حاشية على شرح الخيالي في القصائد » ـ جمع « قصيدة » ـ في حين أن صاحب هدية العارفين لم يذكرها ضمن مؤلفات الشيخ إلياس حين ترجم له بل ذكر حاشية على شرح العقائد للسعد[1] . والأمر هنا يحتاج إلى مزيد بحث عن تاريخ الشيخ إلياس هذا ومؤلفاته ـ والمراجع المتوفرة لدي لم تفدني في الموضوع إلا بهذا القدر من البحث ـ قبل أن نحكم عليه بشيء ، لأنه لا بعد في أن يحدث التصحيف في كتابة « العقائد » بـ« القصائد » والعكس أيضا صحيح والله أعلم .

٣- حاشية خليل بن مصطفى بن عيسى فائض المنجم الرومي المعروف بجابي زاده المتوفى بالقسطنطينية عام ١١٣٤ هـ/١٧٢٢ م . ورد ذكرها في كل من هدية العارفين ومعجم المؤلفين كالآتي : « حاشية على شرح النونية لخضر بك »[2] . وهذا أيضا يحوطه غموض حيث لم يعين اسم الشارح ، ومعلوم أن القصيدة النونية قد شرحها آخرون غير الخيالي ، إلا أن غالب ظني أن هذه الحاشية هي على شرح الخيالي على القصيدة النونية ، لأن شرح الخيالي هو المعروف على الإطلاق بشرح القصيدة النونية حيث كان الخيالي تلميذا لصاحب القصيدة وأول شارح لها كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق .

٤- حاشية محمد أمين بن محمد الإسكداري الحنفي المعروف بقصيري زاده ـ المتوفى عام ١١٥١هـ/١٧٣٨م ـ على القصيدة النونية . ذكرها كل من حاجي خليفة والبغدادي وعمر رضا كحالة[3] في حين أن بروكلمان[4] قد عده ـ أي محمد أمين الإسكداري ـ من شراح القصيدة النونية ، وهذا خطأ كما أرى لأنه ممن كتب حاشية على شرح الخيالي على القصيدة النونية في ضوء ما أثبته كبار المترجمين المذكورين ، وقد علقنا على كلام بروكلمان هناك فيما سبق .

---

(١) انظر هدية العارفين للبغدادي : ٢٢٦/١ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٣٩١/١ .

(٢) انظر هدية العارفين للبغدادي : ٣٥٥/١ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٦٩٠/١ .

(٣) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة : ١٣٤٨ ، هدية العارفين للبغدادي : ٣٢٤/٢ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ١٤٦/٣ .

(٤) انظر كتابه تاريخ الأدب العربي : ٣٧٨/٧-٣٨٠ .

٥- حاشية على شرح النونية للخيالي المسمى بالحواشي الفتوحية على شرح النونية لعمر بن عبد الجليل بن محمد جميل بن درويش بن عبد المحسن البغدادي الحنفي القادري نزيل دمشق ، ولد في عام ١١٥٥هـ/١٧٤٢م ، توفي عام ١١٩٤هـ/١٧٨٠م . نسبها إليه البغدادي في هدية العارفين (٧٩٩/١) و إيضاح المكنون (٤٢٣/١) دون أن يصرح بأنها على شرح الخيالي ولكن عمر رضا كحالة (معجم المؤلفين : ٥٦٠/٢) صرح بأن هذه الحاشية على شرح الخيالي على النونية .

* * *

المبحث الرابع

مخطوطاته

وفيما يلي عرض لمخطوطات شرح الخيالي التي تمكنت من الوصول إليها ، مبينا مكان كل منها ، ورقمها ، وعدد أوراقها ، ومسطرها ، واسم ناسخها ، وتاريخ نسخها ، ــ إن وجد ــ ودرجة سلامتها .

أولا – مكتبة الأزهر الشريف : (توجد بها أربع نسخ مخطوطة لشرح الخيالي كما يلي)

١- نسخة برقم (٩٦٧) مجاميع ٤٦١٢٠ مكتبة بخيت علم الكلام بعنوان «شرح الخيالي على القصيدة النونية» في مجلد واحد ــ مع مجموعة كتب أخرى ــ في ٧٥ ورقة . وتبدأ من ورقة ٨٧ وتنتهي في ورقة ١٦٢، ومسطرها ٢١ سطرا ما عدا النصف الأول من الورقة الأولى والنصف الأخير من الورقة لأخيرة ، كلها بالمداد الأسود، وهي مجدولة بالمداد الأحمر، وفوق الأبيات خط يميزها عن الشرح . أولها « بسم الله الرحمن الرحيم لك الحمد يا من شرح صدورنا . . .» . وكتب بآخرها « تمت هذه النسخة الشريفة عن يد أضعف الطلاب وأفقر العباد إلى ربه القدير محمد

ابن الحاج شعبان غفر الله له ولوالديه ليلة الثالث والعشرين من أيام ربيع الآخر لسنة سبع وتسعين وألف (١٠٩٧/٤/٢٣هـ) عن هجرة من له العز والشرف» . وهي في حالة جيدة ، يمكن قراءتها بسهولة ، وليس بها أسقاط إلا بعض الحروف أو الكلمات.

٢- نسخة أخرى برقم (٥٩١٦) ٩١٥١٢ توحيد : بعنوان «شرح النونية» في ٩٠ ورقة في مجلد واحد ، ومسطرها ٢١ سطرا ، تبدأ كما تبدأ النسخة الأولى وفي آخرها بعض الإضافات بعد انتهاء الشرح ، وكتب في آخرها «وكان الفراغ من كتابة هذا الشرح في عقائد التوحيد يوم الأحد المبارك عاشر شهر محرم الحرام من شهور سنة إحدى وتسعين وألف (١٠٩١/١/١٠) على يد كاتبها لعبد الذليل المخطئ الفقير الحقير إسمعيل الشطي الحنفي وشاركه في كتابتها من أولها إلى آخرها الشاب السعيد الموفق الرشيد الشيخ علي العريف الحنفي ، غفر الله لهما ولوالديهما ولأصولهما وفروعهما وحواشيهما وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات» . كلها بالمداد الأسود وورقاتها مرقمة . وهي بقلم معتاد مقروء ، وحالتها جيدة إلا أن بها أسقاطا ، أحيانا تبلغ أكثر من سطر .

٣- نسخة أخرى برقم (٢١٦) مجاميع ٥٤٤٦ في مجلد ــ مع مجموعة كتب أخرى ــ وتقع في ٥٧ ورقة ومسطرها ٢٣ سطرا في كل ورقة . تاريخ نسخها شهر جمادي الأخير عام ١١٥٦هـ واسم ناسخها أحمد بن محمد بن السحيمي القرشي الحسيني . وحالتها غير جيدة ولا يمكن قراءتها إلا بصعوبة بالغة .

٤- نسخة أخرى برقم (٣٠٣) توحيد ٤٤٠٨ ، في مجلد واحد ، تقع في ٧٢ ورقة ، ومسطرها ١٩ سطرا في كل ورقة ، وعليها وقف بما يلى «أوقف وحبس وسبل وتصدق به إبراهيم شابه البارودي على طلبة العلم بالأزهر بخزانة الدمنهوري» ولا يوجد فيها اسم الناسخ وتاريخ النسخ . وصفحاتها مجدولة وهي بالمداد الأسود وحالة الخط جيدة تقريبا ويمكن قراءتها إلا أن فيها أخطاء وأسقاطا كثيرة .

ثانيا– دار الكتب المصرية

١- توجد بها نسخة برقم علم الكلام ١٦٦٧ رقم الميكرو فيلم ٣٩٧٦١ ، وتقع في ٩٧ ورقة ، ومسطرها ١٩ سطرا في كل ورقة ، خطها واضح ومقروء جيدا ، وعلى الورقة الأولى منها وقف على إحدى المدارس واسمها غير واضح ، واسم الواقف أيضا غير واضح . وهي بعنوان «خيالي جلبي على النونية لخضر بك» ولايوجد فيها نقص أو عيوب كثيرا . ولا يوجد فيها اسم الناسخ وتاريخ النسخ .

٢- نسخة أخرى برقم ٨٩٦ علم الكلام ، رقم الميكرو فيلم ٣٩٦٠٣ ، بعنوان «القصيدة النونية للخضر بك وشرحها لملا أحمد بن موسى الخيالي» ، وتقع في ٩٧ ورقة ، ومسطرها ٢٥ سطرا في كل ورقة ، وورقاتها غير مرقمة ، ولا يوجد فيها تاريخ النسخ ولا اسم الناسخ وخطها مقروء ، وتمتاز النسخة بالسلامة .

ثالثا– مكتبة آيا صوفيا بتركيا

توجد بها نسخة برقم ٣٢١٨ علم الكلام . وتقع في ٨٨ ورقة ، ومسطرها ٢١ سطرا في كل صفحة . وهي في حالة جيدة يمكن قراءتها بسهولة ، وليس بها كثير أخطاء أو أسقاط ، إلا أنه لا يوجد بها اسم الناسخ وتاريخ النسخ . اطلعت على أسطوانة سجلت عليها هذه النسخة وصلتني عن طريق أحد الأصدقاء ــ جزاه الله عني خيرا .

* * *